الصوتيات الأكوستيكا
مكتبة و ملتقى علم الأصوات
اللغة ـ السمع ـ الإدراك ـ النطق
مع تحيات موقع مكتبة وملتقى علم الأصوات

تجاور الأصوات وأثره في اللغة

دكتور / سعيد محمد محمود الفواخرى
المدرس بقسم أصول اللغة
فى كلية اللغة العربية بالزقازيق

تمهيد :

الأصوات اللغوية حينما تتجاور لتؤلف مقطعاً أو بناء أو جملة تخضع للقواعد والقوانين الخاصة بتركيب الكلمات ، ونسج الألفاظ ، ونظمها فى جمل وعبارات ، فالدراسة التنظيمية أو التشكيلية [1] ، تدرس الصوت فى التركيب من حيث علاقته بالأصوات الأخرى المجاورة له : السابقة عليه أو اللاحقة له . فربما كان الصوت فى وضع يتطلب الإبقاء على صورته ، وعلى سائر صفاته ، وربما اقتضت علاقته بالأصوات المجاورة له تغييراً يلحقه فى مخرجه أو صفته ، أو فيهما معاً ، أو فى مجراه من الفم أو الأنف ، وربما اقتضت ظروف التركيب والسياق نقله من مكانه إلى مكان آخر كما يحدث فى القلب المكانى ، أو حذفه دون تعويض عنه أو حذفه مع إحلال صوت آخر محله كما يحدث فى الإبدال ، وربما يكون التغيير فى طول الصوت وكميته ، فيزداد فى طوله بالمد أو التشديد أو يقلل فى كميته بتقصير المد وغيره .

---

[1] علم الأصوات يشمل نوعين من الدارسة : الأول : هو الذى يعنى بما ينطقه الإنسان فعلاً يدرسه ويصفه فى جميع مراحله (الفسيولوجية والفيزيائية والإدراكية وهذا اللون أطلق عليه مصطلح (فوناتيك) أى علم الصوتيات ، الثانى : ويتجاوز منطقة الواقع النطقى أو النطق الفعلى للإنسان إلى دراسة الأصوات اللغوية التى هى فى حقيقتها صور ذهنية ومفاهيم مجردة ، عن الواقع المادى من حيث قيمتها ووظيفتها فى اللغة ، وقد أطلق على هذه الدراسة مصطلح (فونولوجى) أى علم وظائف الأصوات أو علم الأصوات الوظيفى : المختار من كتاب علم الصوتيات . د/ عبد الله ربيع / ٢٢ .

phonetics-acoustics.blogspot.com

وتلك التغيرات التى تلحق الأصوات فى تراكيبها وسياقاتها لها من العلل والأسباب التى تسوغها ، والتى تقدم تفسيراً مقبولاً لما حدث فيها ، فأحياناً يكون الباعث على التغيير في الصوت هو تحقيق الانسجام الصوتى له مع الأصوات المجاورة له ، وأحياناً يكون شيئاً آخر كالتأثر بما فى أصوات لغة أو لهجة أخرى تقوم بينهما صلة قرابة ونحوها [١] . وسأعرض لبعض قضايا تجاور الأصوات :

phonetics-acoustics.blogspot.com

---

[١] دراسات فى علم الأصوات اللغوية د/ صلاح قناوى ، د/ أحمد سلطان ١٧١ / ١٧٢ .

١ ــ المماثلة أو التواؤم الصوتى

يعرفها أستاذنا الدكتور إبراهيم أبو سكين فيقول : " هى تأثر صوت بصوت مجاور له فيكتسب بعض صفاته دون أن يفقد كل خصائصه " [١] .

ويعرفها بعض الباحثين المحدثين بأنها : " تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض فى المتصل من الكلام ، تأثراً يؤدى إلى التقارب فى الصفة أو المخرج تحقيقاً للانسجام الصوتى وتيسيراً لعملية النطق واقتصاداً فى الجهد العضلى [٢] .

ويعرفها بعض اللغويين من غير العرب فيقول : هى التعديلات التكييفية للصوت بسبب مجاورته لأصوات أخرى ، أو هى تحول الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة إما تماثلاً جزئياً أو كلياً [٣] .

وتتنوع المماثلة إلى ما يلى :

١ ــ التأثر بالجهر : ويسمى تجهير الصوت ، وهو النطق بالصوت المهموس مجهوراً ، وهو ضربان :

أ ــ إتباعى أو تقدمى : وفيه يتأثر الصوت الثانى بالأول كما فى (ازدان) من (ازتان) فقد تأثرت التاء المهموسة بالزاى المجهورة فقلبت التاء دالاً ليجتمع صوتان مجهوران [٤] .

---

[١] اللهجات العربية والقراءات القرآنية د/ إبراهيم أبو سكين (القراءات) ٢١ .

[٢] الأصوات اللغوية د/ إبراهيم أنيس ١٧٩ ، لحن العامة د./ عبد العزيز مطر : ٢٤٥ .

[٣] نقلاً عن دراسة الصوت اللغوى ، د. أحمد مختار عمر ٣٢٤ .

[٤] القراءات القرآنية د/ إبراهيم أبو سكين ٢١ .

phonetics-acoustics.blogspot.com

ب ــ تخلفى أو رجعى : وفيه يتأثر الصوت الأول بالثانى كقراءة حمزة والكسائى [١] (وَمَن أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً) [٢] بإشمام الصاد صوت الزاى فى (أَصْدَق) ، وكذلك ما قرأ به حمزة والكسائى أيضاً : (حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ) [٣] . بإشمام الصاد صوت الزاى فى (يُصْدِر) [٤] .

٢ ــ التأثر بالهمس : ويسمى تهميس الصوت وهو النطق بالصوت المجهور مهموساً [٥] . كقراءة يحيى بن وثاب : (أَلَمْ أَحَدْ إِلَيْكُم) [٦] . فى قوله تعالى : (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُم) [٧] .

ومثله قول بنى تميم : محُّم فى معهم ، ومحَّاؤلاء فى : مع هولاء .

وفى هذا يقول إمام العربية سيبويه : " ومما قالت العرب تصديقاً لهذا فى الإدغام قول بنى تميم : مَحُّم ، يريدون : معهم ، ومحَّاؤلاء ، يريدون : مع هولاء "[٨]

---

[١] كتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد١٠٦،١٠٧، النشر : ٢ / ٢٥٠ ، ٢٥١ ، الإتحاف : ١٩٣ .

[٢] من الآية ٨٧ / النساء .

[٣] من الآية ٢٣ / القصص .

[٤] قضية إشمام الصاد صوت الزاى عن حمزة والكسائى : جاء فى كتاب السبعة لابن مجاهد : ١٠٦ ، ١٠٧ ، وقال الكسائى عن حمزة : إنه كان يفعل ذلك بالصاد الساكنة خاصة ولا يفعله بالمتحركة ، كان يقرأ : (الزراط) بالزاى ، ويقرأ (صراط الذين) بالصاد ، وكان سليم يحكى ذلك فى الساكنة والمتحركة ، قال خلف : وكذلك إذا سكنت وأنت بعدها دال مثل (قَصْدُ السَّبِيلِ) ٩/ النحل ، و (يُصْدِرَ الرِّعاء) ٢٣ / القصص ، و(يَصْدِفُونَ) ٤٦ / الأنعام ...، وكان الكسائى يتابع حمزة فى (قصد) و (يصدر الرعاء) وما كان مثل ذلك . وينظر النشر : ٢/٢٥٠ ، ٢٥١ ، والإتحاف : ١٩٣ .

[٥] القراءات القرآنية د/ إبراهيم أبو سكين ٢٢.

[٦] مختصر فى شواذ القراءات لابن خالويه ١٢٦ ، والبحر ٧ / ٣٤٣ .

[٧] من الآية ٦٠ / يس .

[٨] الكتاب ٤ / ٤٥٠ .

phonetics-acoustics.blogspot.com

ويفسر سيبويه هذا التأثر بقوله : " وإذا أردت الإدغام حولت العين حـــاء ثـم أدغمت الهاء فيها فصارتا حاءين "[١] .

ويقول الرضى فى تفسير هذا التأثر : " واستثقل أيضاً تَرْكُ الإدغـــام لأن كـل واحدة منهما مستثقلة لنزولها فى الحلق فكيف بهما مجتمعين مع تنافرهمـــا ، إذ العيـن مجهورة والهاء مهموسة . فطلبوا حرفاً مناسباً لهما أخف منهما وهو الحاء ، أما كونـه أخف فلأنه أعلى منهما فى الحلق ، وأما مناسبته للعين فلأنهما من وسط الحلق ، وأمـا الهاء فبالهمس والرخاوة ، فلذا قلب بعض بنى تميم العين والهاء حاءين ، وأدغم أحدهما فى الآخر ، نحو : محَّم ومحَّاؤلاء فى معهم ، ومع هؤلاء "[٢]

٣ ــ التأثر بالإطباق : وأصوات الإطباق هى : الصـــاد والضـــاد والطـــاء والظـــاء ، وهى أصوات مطبقة مستعيلة تجتذب اللسين من سفلها فتقلبهـــا صـــاداً ليتـم التناسـب بين الأصوات كقراءة جمهور السبعة غـــير حمـــزة : (الصـــراط) بالصـــاد[٣] والســـراط بالسين هى الأصل لكنها قلبت صاداً لتناسب الطاء فـــى إطباقهـــا واســـتعلائها ،يقـــول ابن مجاهد : " والســـين الأصـــل ، والكتـــاب بالصـــاد ، وإنمـــا كتبـــت بالصـــاد ، ليقربوها من الطاء لأن الطاء لهـــا تصعـــد فـــى الحنـــك ،وهـــى مطبقـــة ، والســـين مهموسة وهى من حروف الصفير فثقل عليهم أن يعمـــل اللســـان منخفضـــاً ومســـتعلياً في كلمة واحدة ،فقلبوا السين إلى الصاد لأنها مؤاخية للطاء فـــى الإطبـــاق ومناســـبة للسين فى الصفير ، ليعمل اللسان فيهما متصعداً فى الحنـــك عمـــلاً واحـــداً "[٤] .

---

[١] السابق ونفس الجزء والصفحة .

[٢] شرح الشافية ٣/٢٦٥،٢٦٦ .

[٣] ينظر : كتاب السبعة لابن مجاهد ١٠٥ ــ ١٠٧ ، الحجة لأبى على الفارسى ٣٦ ، وقراءة السراط بالسين روبت عن ابن كثير فى رواية القواس ، وروبت أيضاً عن أبى عمرو بن العلاء فى بعض الروايات .

[٤] كتاب السبعة لابن مجاهد / ١٠٧ .

phonetics-acoustics.blogspot.com

وفى اللسان : " والسراط : السبيل الواضح ، والصراط لغة فى السراط والصاد أعلى لمكان المضارعة . وإن كانت السين هى الأصل " [١] .

ويقول أبو على : " قال أبو بكر : للقارئ بالسين أن يقول : هو أصل الكلمة ، ولو لزم لغة من يجعلها صاداً مع الطاء لم يعلم ما أصلها ؟ ويقول من يقرأ بالصاد : إنها أخف على اللسان لأن الصاد حرف مطبق كالطاء فيتقاربان وتحسنان فى السمع ، والسين حرف مهموس فهو أبعد من الطاء ، وهى قراءة أبى جعفر ، والأعرج ، وشيبة وقتادة " [٢] .

ويقول ابن خالويه : " فالحجة لمن قرأ بالسين أنه جاء به على أصل الكلمة ، والحجة لمن قرأ بالصاد : أنه أبدل لها من السين لتواخى السين فى الهمس والصفير ، وتواخى الطاء فى الإطباق لأن السين مهموسة والطاء مجهورة " [٣] .

ومن هذا يتبين أن السين فى (السراط) هى الأصل ، ومن أبدل لها صاداً إنما أبدلها لمكان الطاء فى الاستعلاء ، ليعمل اللسان فيهما متصعداً فى الحنك عملاً واحداً .

٤ ــ التأثر بالإتباع : كقراءة أهل البادية : (الحمد لله) مضمومة الدال واللام ، وقراءة زيد بن على ، والحسن البصرى ، (الحمد لله) بكسر الدال واللام .

ويقول ابن جنى فى هذا الموضع ناسباً القراءات لأصحابها ومفسراً هذا الإتباع : " قرأ أهل البادية : (الحمد لله) مضمومة الدال واللام ، ورواها لى بعض

---

[١] لسان العرب (سرط) ٣/١٩٩٣ .

[٢] الحجة لأبى على الفارسى ١/ ٣٦،٣٧ .

[٣] الحجة لابن خالويه ٦٢ .

phonetics-acoustics.blogspot.com

أصحابنا قراءة لإبراهيم بن أبى عبلة (الحمد لله) مكسورتان ، ورواها أيضاً لـى قـراءة لزيد بن على (رضى الله عنهما) ، والحسن البصرى (رحمه الله) وكلاهما شاذ فـى القياس والاستعمـال ، إلا أن من وراء ذلك ما أذكره لك ، وهو أن هذا اللفظ كثر فـى كلامهم، وشاع استعماله ، وهم لما كثر فى استعمالهم أشد تغييراً كما جاء عنهم لذلك : لم يك ولا أدر ....، وحا يجى ، وسا يسر ، بحذف همزتيهما ، فلما اطرد هذا ونحوه لكثرة استعماله أتبعوا أحد الصوتين الآخر وشبهوهما بالجزء الواحد ، وإن كانا جملة من مبتـدأ وخبر ، فصارت (الحمد لله) كعنق ، وطنب ، و (الحمد لله) كإبل وإطل"[1]

ويقول الفراء أيضا فى تفسير قراءة (الحمد لله) بضم الدال واللام على إتبـاع الثانى الأول : " فالذين رفعوا اللام فإنهم أرادوا المثال الأكثر من أسماء العـرب الـذى يجتمع فيه الضمتان مثل : الحلم والعقب ، ولا تكرن أن يجعل الكلمتان كالواحدة ، إذا كثر بها الكلام " [2] .

ويقول الفراء فى تفسير (الحمد لله) بكسر الدال واللام علـى إتبـاع الأول الثـانى : " هذه كلمة كثرت على ألسن العرب حتى صارت كالاسم الواحـد ، فثقـل عليهم أن يجتمع فى اسم واحد من كلامهم ضمة بعد كسرة ، أو كسرة بعدها ضمـة ، ووجدوا الكسرتين قد تجتمعان فى الاسم الواحد مثل : إبل ، فكسروا ليكون على المثال من أسمائهم " [3] .

---

[1] المحتسب : ٣٧/١ ، وينظر : مختصر فى شواذ القراءات لابن خالوية : ٩ ، إعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه : ٢٩ ، ٣٠ .

[2] معانى القرآن للفراء ٤،٣/١ .

[3] السابق ٤،٣/١ .

ومن شواهد التأثر بالإتباع ما قرأ به ابن عامر : (ياأيهُ الساحر) [١] ، و (أيُّـهُ الثقلان) [٢] بضم الهاء إتباعاً لضمة الياء [٣] .

ومن شواهده أيضاً : ما قرأ به ابن كثير ونافع ، وابن عامر ، والكسائى : (فمنُ اضْطُرَّ) [٤] و (أنُ اقْتُلوا) [٥] ، و(ولقدُ استُهزئ)[٦] ، و(وقالتُ اخـرُجْ عليهـن)[٧] و(قلُ ادْعُوا الله أو ادعوا الرحمن)[٨] بضم ذلك كله ...، وكان عاصم وحمزة يكسران ذلك كله الالتقاء الساكنين [٩] .

ويفسر ابن خالويه هذا الإتباع فى قراءة من ضم الأول إتباعـاً لضمـة الثـانى فيقـول : " والحجة لمن ضم : أنه لما احتاج إلى حركة هذه الحروف كره الخروج من كسر إلى ضم ، فأتبع الضم الضم ، ليأتى باللفظ من موضع واحد "[١٠] .

ويقول فى تفسير من كسر الأول : " فالحجة لمن كسر : التقاء الساكنين"[١١].

---

[١] من الآية ٤٩ / الزخرف .

[٢] من الآية ٣١ / الرحمن .

[٣] كتاب السبعة لابن مجاهد ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٦٢٠ ، وقرأ الباقون (يا أيه) فتحا .

[٤] من الآية ١٧٣ / البقرة .

[٥] من الآية ٦٦ / النساء .

[٦] من الآية ١٠ / الأنعام ، ٣٢ / الرعد ، ٤١ / الأنبياء .

[٧] من الآية ٣١ / يوسف .

[٨] من الآية ١١٠ / الإسراء .

[٩] كتاب السبعة فى القراءات ١٧٤ ، ١٧٥ .

[١٠] الحجة لابن خالويه ٩٢ .

[١١] السابق ونفس الصفحة .

phonetics-acoustics.blogspot.com

وفى قراءة من ضم الأول يتبين لنا أنه التقي ساكنان من كلمتين ثالث ثانيهما مضموم ، وكان لابد من تحريك أول الساكنين فحركه بالضم على إتباع حركة ثالث الثانى ، لأنه لو حرك بالكسر على أصل التقاء الساكنين لكان فى ذلك خروج من كسر إلى ضم ، فكره ذلك ، وأتبع الضم الضم ليعمل اللسان عملاً واحداً .

وهذه الأنواع الأربعة لظاهرة المماثلة سأتحدث عنها بشئ من التفصيل مرتباً حديثى على نقطتين رئيسيتين هما : المماثلة التقدمية وفيها يتأثر الصوت الثانى بالأول ، والمماثلة الرجعية وفيها يتأثر الصوت الأول بالثانى :

المماثلة التقدمية :

وتتمثل فى قلب تاء (الافتعال وفروعه) طاء ، إذا كانت فاؤه حرفاً من حروف الإطباق ، وهى : (الصاد ، الضاد ، الطاء ، الظاء) فتقول فى (افْتَعَلَ) من : صبر اصطبر ، ومن ضرب : اضطرب ، ومن طهر : اططهر ، ومن ظلم : اظطلم ، والأصل اصتبر ، واضترب ، واطتهر ، واظتلم .

وإذا نظرنا إلى الأصل فى هذه الأمثلة نجد أن التأثير من السابق (الحرف المطبق) على اللاحق (تاء افتعل) والمماثلة هنا تقدمية لأن التأثير من المتقدم على اللاحق ، ويفسر العلماء هذه الظاهرة (قلب تاء الافتعال وفروعه) طاء عند مجاورتها للحرف المطبق) بأنه استثقل اجتماع التاء مع الحرف المطبق لما بينهما من تقارب المخرج وتباين الصفة ، إذ التاء مهموسة مستفلة ، والمطبق مجهور مستعل ، فأبدل من

التاء حرف استعلاء من مخرجها وهو الطاء[١] ، " ليستعملوا ألسنتهم فى ضرب واحد من الحروف ، وليكون عملهم فى وجه واحد إذ لم يصلوا إلى الإدغام " [٢] .

ومن أمثلة المماثلة التقدمية التى يتأثر فيها الثانى بالأول ما ذكره العلماء من قلب تاء الافتعال وفروعه دالاً إذا كانت فاء الافتعال : (دالاً ، أو زايا ، أو ذالاً) فتقول فى (افْتَعَل) من : دان ، زاد ، ذكر : ادّان ، ازداد ، ادّكر ، والأصل : ادتان ، وازتاد ، واذتكر . فاستثقل مجئ التاء بعد هذه الأحرف ، لأن هذه الأحرف مجهورة ، والتاء مهموسة ، فجئ بحرف يوافق التاء فى مخرجه ، ويوافق هذه الحروف فى الجهر ، وذلك الحرف هو " الدال " . وإنما أبدلت تاء الافتعال دالاً بعد : الدال والزاى والذال . طلباً لخفة اللفظ ، واقتصاداً فى المجهود العضلى وتحقيق الانسجام بين الأصوات [٣] .

وكما تقع المماثلة بين الحروف فإنها تكون أيضاً بين الحركات ، فمن أمثلة المماثلة التقدمية بين الحركات ما روى عن ابن أبى عبلة أنه قرأ : (الحَمْدُ لُلَّهِ) بضم الدال واللام على إتباع الثانى الأول ، وقراءة حمزة والكسائى : (فلإمِّهِ الثلث)[٤]

---

[١] الأشمونى مع الصبان : ٣٣١/٤ ، وينظر : شرح الشافية ٢٨٦/٣ .

[٢] الكتاب : ٤٦٧/٤ .

[٣] الأشمونى مع الصبان : ٣٣٢/٤ ، وشرح الشافية ٢٨٧/٣ ، وقرأ قتادة : (مُذَّكر) بالذال المعجمة، أبدل الدال ذالا وأدغمها فى الذال، فالصيغة بعد قلب تاء الافتعال دالا : مذدكر تأثرت الدال بالذال تأثراً تقدمياً فأبدلت ذالاً وأدغمت فى الذال التى قبلها . ينظر فى القراءات فى هذه الكلمة : البحر المحيط : ١٧٨/٨ .

[٤] من الآية : ١١ النساء ، وكسر همزة أم بعد الكسرة والياء لغة هوازن وهذيل : ينظر : إعراب القرآن للنحاس ٤٤٠/١ والبحر ١٨٥/٣ ، الدر المصون : ٦٠٢/٣ ، وينظر : فى القراءات فى (الحمد لله) ، المحتسب ٣٨،٣٧/١ ، إعراب القرآن للنحاس ١٧٠/١ ، الدر ٤٢/١، وذكرت هذه المصادر أن ضم اللام إتباعاً لضمة الدال لغة لبعض بنى ربيعة وبعض قيس .

phonetics-acoustics.blogspot.com

بكسر همزة أم اتباعا لكسرة اللام ، والمماثلة فى هاتين القراءتين مماثلة تقدمية لأن الثانى تأثر بالأول .

٢ ــ المماثلة الرجعية . وتتمثل فى قلب فاء الافتعال تاء إذا كانت حرف لين (يعنى واواً أو ياءً) . مثال ذلك فى الواو : اتَّصال ، واتَّصَل ، ومتَّصِل ، والأصل : اوْتصال، واوْتصل ، ومُوْتصل . فتقول فيها : أبدلت فاء الافتعال (الواو) تاء وأدغمت فى التاء ، وهذه هى اللغة الفصحى .

ومثال ذلك فى الياء : اتَّسار ، واتَّسر ، ومتَّسر ، والأصل : ايْتسار ، وايتسر ، ومُيْتسر، أبدلت فاء الافتعال (الياء) تاء وأدغمت فى التاء وهى اللغة الفصحى [1] .

وتفسير هذه الظاهرة : أنه استثقل النطق بحرف اللين الساكن مع التاء لما بينهما من مقاربة المخرج ومنافاة الصفة لأن حرف اللين من المجهور ، والتاء من المهموس ، فأبدلوا الفاء تاء لأنهم لو أقروها على حالها لتلاعبت بها حركات ما قبلها فكانت تكون بعد الكسرة ياء ، وبعد الفتحة ألفاً ، وبعد الضمة واواً ، فلما رأوا مصيرها إلى تغيرها لتغير أحوال ما قبلها أبدلوا منها حرفاً يلزم وجهاً واحداً وهو التاء ، وهو أقرب الزوائد من الفم إلى الواو ، وليوافق ما بعده فيدغم فيه[2] والمماثلة هنا رجعية ، وكما تكون المماثلة الرجعية بين الحروف تكون أيضاً بين الحركات ، ومن شواهدها ما قرأ به أبو جعفر يزيد ابن القعقاع : (للملائكةُ اسْجُدوا) بضم التاء إتباعاً لضمة الجيم ، ومما أجازه العلماء فى

---

[1] الأشمونى مع الصبان ٣٢٩/٤ وهناك لغة أخرى لقوم من أهل الحجاز يتركون هذا البدل أى لا يبدلون فاء الافتعال تاء ويجعلون فاء الكلمة على حسب الحركات ــ قبلها ، فيقولون : ايتصل ، موتصل، وايتسر ، وموتسر . الأشمونى ٣٣٠/٤ وقوم من أهل الحجاز أيضاً لا يبدلون فاء الافتعال تاء إذا كانت واواً أو ياء ، ولا يعبأون بتلاعب الحركات فيقولون فى " افتعل من وَسَمَ ووَحَدَ : اوْتسم ، واوْتحد ، ويقولون فى افتعل من يسر : ايتسر : أصوات اللغة العربية ، دار . هلال ٢٧٩ .

[2] شرح الأشمونى ٣٢٩/٤ ، ٣٣٠ .

ذلك : (وقالت اخرج عليهن) بضم التاء إتباعاً لضمة الراء ، وهى قراءة ابن كثير ، والكسائى ، ونافع ، وابن عامر[١] .

والمماثلة هنا مماثلة رجعية لتأثر حركة التاء بحركة الجيم فى المثال الأول ، وبالراء فى المثال الثانى ، ومن شواهد المماثلة الرجعية فى الحركات أيضاً : ما روى عن الحسن بن أبى الحسن ، وزيد بن على : (الحمد لله) بكسر الدال إتباعاً لحركة اللام[٢] ، والمماثلة هنا رجعية أيضاً لتأثر الأول بالثانى .

درجات المماثلة :

الأصوات المتجاورة تختلف فى نسبة تأثرها بعضها ببعض فقد لا يعدو التأثر أن يكون مجرد انقلاب الصوت من الجهر إلى الهمس أو العكس ، أى يتأثر بصفات مجاورة، وقد يتأثر الصوت بمخرج مجاوره ، وأقصى ما يصل إليه الصوت فى تأثره بمجاورة أن يفنى فيه فناء كلياً كما يحدث فى الإدغام[٣] ، وهذا بيان لدرجات التأثر وأنواعه بين أصوات اللغة :

١ ــ تغير صفة الصوت :

---

[١] كتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد ٣٤٨ ، وفيه : وقرأ أبو عمرو ، وعاصم ، وحمزة : (وقالت اخرج) بكسر التاء .

[٢] وضم التاء فى (الملائكة) إتباعاً لضمة الجيم فى (اسجدوا) لغة أزد شنوءة من اليمن : ينظر : البحر ١٥٢/١ ، والنشر: ٢١٠/٢ ، ٢١١ ، وذكر العلماء أيضاً أن كسر الدال فى (الحمد) إتباعاً لكسرة اللام فى (لله) لغة تميم وبعض بنى غطفان . ينظر : الدر المصون ٤١/١ ، إعراب القرآن للنحاس : ١٠٧/١ ، القراءات الشاذة أ . عبد الفتاح القاضى:٢١.

[٣] الأصوات اللغوية د. أنيس ١٨٣ .

phonetics-acoustics.blogspot.com

قد يتأثر الصوت بصفة مجاورة فيصبح مهموساً بعد أن كان مجهوراً ، أو العكس، وقد ينتقل من الشدة إلى الرخاوة أو العكس ، فإذا تجاور صوتان الأول منهما مجهود والثانى مهموس ، فإن قواعد الانسجام بين الأصوات تقضى بأن يتحول أحدهما إلى صفة صاحبه ليصبحا إما مجهودين أو مهموسين[1] .

فصيغة " افتعل " من دان ، وزاد ، وذكر ، هى : ادتان ، وازتان ، واذتكر ، فتاء " افتعل " مهموسة ، وما قبلها من الحروف مجهور ، فأبدل من تاء الافتعال حرفاً مجهوراً يتاسب ما قبله فى الجهر حتى يتحقق الانسجام بين الأصوات وذلك الحرف هو الدال فصارت الصيغ بعد الإبدال ادان ، ازداد ، اذدكر .

وقد يحدث العكس فيتأثر المجهور بالمهموس فيصبح مهموساً مثله ، كما قلنا فى قلب فاء الافتعال إذا كانت واواً أو ياءً تاء فصيغة " افتعل " من الوصل واليسر : اوتصل ، وايتسر ، فيقال فيها تأثرت فاء " افتعل " وهى الواو والياء المجهورتان بتاء الافتعال المهموسة فقلبت الواو والياء تاء وأدغمت فى تاء " افتعل " التى أصبحت بعد الإدغام : اتصل واتسر .

ويشترط لحدوث التأثر بين الأصوات أن يكون الصوت الأول ساكناً ، وأن لا يفصل بين الصوتين بفاصل . وقد يكون الانتقال من الشدة إلى الرخاوة ، فيتأثر الشديد بالرخو فيصبح رخواً مثله ، وشاهده : ما قرأ به أبو عمرو بن العلاء وابن عامر ، وحمزة ، والكسائى وخلف : (ولقد ذرأنا) بالإدغام فالدال الشديدة تأثرت بمجاورها الرخو فقلبت ذالاً وأدغمت فى الذال .

---

[1] الأصوات اللغوية د . أنيس ١٨٧ ، أصوات اللغة العربية د. هلال ٢٨٣ .

phonetics-acoustics.blogspot.com

وقد يتأثر الرخو بالشديد فيتحول إلى شديد مثله ، وشاهده ما قرأ به أبو عمرو ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائى ، وأبو جعفر : (كم لبثّم) بإدغاء الثاء فى التاء[1] .

٢ ــ تغير مخرج الصوت :

كما كانت المماثلة فى صفة الصوت فإنها تكون أيضاً فى مخرجه ، فإذا تجاور صوتان متباعدى المخرج فإن قواعد المماثلة تقضى بأن ينقل أحدهما من مخرجه الأصلى إلى مخرج آخر ، فيستبدل به أقرب الأصوات إليه فى هذا المخرج الجديد .

ومن شواهد ذلك قلب النون الساكنة ميماً مخفاة قبل الباء لمراعاة الغنة نحو : (فلما جاءها نودى أن بورك) ، (قالت من أنبأك هذا قال نبأنى العليم الخبير) ، (قال ياآدم أنبئهم بأسمائهم) فالنون من طرف اللسان مع اللثة العليا ، والباء من الشفتين ، والنطق بهما دون مماثلة يحتاج إلى جهد عضلى كبير لتباين مخرجيهما فاستبدل بالنون أقرب الأصوات إليه وإلى مجاوره ، فكان ذلك الصوت هو " الميم " لأنه يشارك النون فى صفة الغنة ، والباء فى المخرج[2] .

٣ ــ انتقال مجرى الهواء من الفم إلى الأنف وبالعكس :

الأصوات صنفان : منها ما يتخذ الهواء مجراه حين النطق بها خلال الفم ، وهى الكثرة الغالبة فى اللغة العربية ، ومنها ما يتخذ الهواء معها مجراه من الأنف كالنون

---

[1] فى كتاب السبعة لابن مجاهد ١٨٨ : " واختلفوا فى إدغام الثاء من قوله (كم لبثت) و (كم لبثتم) فقرأ ابن كثير ، ونافع ، وعاصم كل ما كان من ذلك بإظهار الثاء ، وقرأ أبو عمرو ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائى بالإدغام ، وينظر : الإتحاف ٢٣٣ ، ٢٨٩ .

[2] الأصوات اللغوية د. أنيس ١٨٦ ، ١٨٧ ، أصوات اللغة العربية . د. هلال ٢٨٢ .

phonetics-acoustics.blogspot.com

والميم، وللنون والميم نظائر من بين أصوات الفم ، فلا فرق بين الميم والباء إلا فـــى أن الهواء يتخذ مجراه مع الأولى خلال الأنف ، ومع الثانية من الفم ، وشكل الشفتين مـــع كل منهما واحد[١] .

ومن شواهد انتقال مجرى الهواء من الفم إلى الأنف : ما قرأ به أبـــو عمـــرو ، والكسائى ويعقوب : (اركب مّعنا) بإدغام الباء فى الميم[٢] ليجرى الهواء معهما مـــن الأنف بعد أن كان مع الباء من الفم ، ومع الميم من الأنف .

وكما انتقل مجرى الهواء من الفم إلى الأنف فإنه ينتقل من الأنف إلى الفم كما فى إدغام النون الساكنة فى اللام فى قوله تعالى : (من لّدنا علما) فالنون يجرى الهـــواء معها من الأنف واللام يجرى هواؤها من الفم ، فلما تم الإدغام جرى الهواء معهما مـــن الفم لأن النون قلبت لاما وأدغمت فى اللام بعدها [٣] .

وقد لوحظت فى كل أنواع المماثلة أن الأول من الصوتين ساكن ، وأنـــه لـــم يفصل بينهما بفاصل .

المماثلة عند القدماء :

---

[١] الأصوات اللغوية د. أنيس : ١٨٥ ، ١٨٦ .

[٢] فى كتاب النشر ٢/١١ " (اركب معنا) فى هود ، أدغمه أبو عمرو ، والكسائى ، ويعقوب ، وأختلف عن ابن كثير ، وعاصم ، فأما ابن كثير فقطع له بالإدغام وجهاً واحداً ، وقطع له بالإظهار أبو القاسم الهذلى من جميع رواياته ، وروى عنه الإظهار من رواية البزى والنقاش من جميع طرقه ، وأما عاصم فقطع له جماعة بالإظهار ، والأكثرون بالإدغام " وينظر : الإتحاف ٢٥٦ .

[٣] ينظر : الأصوات اللغوية د. أنيس ١٨٥ ، ١٨٦ ، وقراءة : (من لّدنا علماً) بالإدغام قراءة جمهور السبعة . ينظر كتاب السبعة ١٢٦ ، والتيسير ٤٥ .

phonetics.acoustics.blogspot.com

عرض القدماء فى كتبهم لظاهرة المماثلة وعدوها من مظاهر تقريب الصوت من الصوت ، وبينوا أسبابها والداعى إليها ، كما أنهم فسروا بها ما يحدث فى الأصوات من تغير وتطور ، وقد وجدت من الإنصاف أن أعرض لحديثهم عن المماثلة اعترافا بفضلهم وسبقهم ، ووفاء لذكرهم .

١ ــ المماثلة عند إمام العربية سيبويه :

عرض إمام العربية سيبويه لظاهرة المماثلة فى أكثر من موضع فى كتابه العلم المعروف بـ "الكتاب" وسماها بالمضارعة حينا وبالتقريب حينا آخر ، يقول فى باب الحرف الذى يُضارع به حرف من موضعه والحرف الذى يُضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه : "فأما الحرف الذى يضارع به الحرف الذى من مخرجه الصاد الساكنة إذا كانت بعدها الدال ، وذلك نحو مصدر ، وأصدر ، والتصدير ، لأنهما قد صارتا فى كلمة واحدة ، كما صارت مع التاء فى كلمة واحدة فى "افتعل" (اصتبر) فلم تدغم الصاد فى التاء لحالها التى ذكرت لك ، ولم تدغم الدال فيها ولم تبدل لأنها ليست بمنزلة اصتبر وهى من نفس الحرف ، فلما كانتا من نفس الحرف أُجريتا مجرى المضاعف الذى هو من نفس الحرف من باب مددت ، فجعلوا الأول تابعا للآخر ، فضارعوا به أشبه الحروف بالدال من موضعه وهى الزاى ، لأنها مجهورة غير مطبقة ، ولم يبدلوها زايا خالصة كراهية الإجحاف بها للإطباق .. ، وسمعنا العرب الفصحاء يجعلونها زايا خالصة ، كما جعلوا الإطباق ذاهبا فى الإدغام ، وذلك قولك فى التصدير : التزدير ، وفى الفَصْد : الفَزْد ، وفى أصدرت : أزدرت" [١] .

●

فقد بين سيبويه أن إدغام الصاد فى الدال فى أصدر ، ومصدر ، والتصدير غير ممكن كما أن إبدال الدال حرفا يناسب الصاد غير ممكن أيضا ، بخلاف اصتبر حيث

---

[١] الكتاب : ٤٧٧/١ ، ٤٧٨ .

phonetics-acoustics.blogspot.com

أبدلوا من تاء "افتعل" حرفا من مخرجها يناسب الصاد فى الإطباق فقالوا : اصطبر ، ولما أرادوا المماثلة فى أصدر والتصدير لم يجدوا بدا من مضارعة الصاد بالزاى ، لأنهـــا (أى الزاى) من موضوع الصاد ، ولأنها مجهورة غير مطبقة كالدال .

وبعض العرب الفصحاء يرغبون فى زيادة المماثلة بين المتجاورين فيبدلونها زاياً خالصة فيقولون فى التصدير : التزدير .

ويفسر سيبويه ذهاب الإطباق فى لهجة الفصحاء الذين أبدلوا الصاد زاياً خالصة بأنه شبيه بذهابه فى الإدغام حيث قالوا فى : افحص سالماً : افحسالما .

وقد علل سيبويه لنهجى العرب الذين قربوا الصاد من الزاى ، والذين أبدلوهـــا زاياً خالصة فقال : " وإنما دعاهم أن يقربوها ويبدلوها أن يكون عملهم من وجه واحد ، وليستعملوا ألسنتهم فى ضرب واحد ، إذ لم يصلوا إلى الإدغام ، ولم يجسروا على إبدال الدال صاداً لأنها ليست بزيادة كالتاء فى افتعل "[1] .

ويضع إمام العربية سيبويه شرطاً لتأثر الصاد بالدال وهو أن تكون الصاد ساكنة، أى لا يفصل بين الصوتين بفاصل ، أما إذا فصل بينهما بفاصل ولو كان ذلـــك الفـــاصل حركة قصيرة امتنع التأثير بينهما فيقول : "فأما الحرف الذى يضارع به الحرف الذى من مخرجه فالصاد الساكنة ..... فإن تحركت الصاد لم تبدل ، لأنه قد وقع بينهما شـــئ فامتنع من الإبدال ، إذ كان يترك الإبدال وهى ساكنة "[2] .

---

[1] الكتاب : ٤/٤٧٨ .

[2] السابق ونفس الجزء والصفحة .

phonetics-acoustics.blogspot.com

وفى ختام قصة الصاد يحكى سيبويه عن العرب أنهم قد يضارعون بالصاد وهى بعيدة فى قليل من الأحيان ، فيقول : " وربما ضارعوا بها وهى بعيدة نحو : مصادر والصراط ، لأن الطاء كالدال "[١] .

ثم ينتقل سيبويه إلى النقطة الثانية وهى مضارعة الحرف بالزاى وهما ليسا من مخرج واحد " فيقول : " وأما الحرف الذى ليس من موضعه فالشين ، لأنها استطالت حتى خالطت أعلى الثنيتين ، وهى فى الهمس والرخاوة كالصاد والسين ، وإذا أجريت فيها الصوت وجدت ذلك بين طرف لسانك وانفراج أعلى الثنيتين ، وذلك قولك : أشدق فتضارع بها الزاى والبيان أكثر ، وهذا عربى كثير "[٢] .

ويريد سيبويه بالحرف الذى ليس من موضعه الشين حين يضارع بها الزاى فى نحو : أشْدَق ، ولعلة يعنى الجهر بالشين حتى تقترب من الزاى وهما ليسا من مخرج واحد ، ومن هذه المضارعة عنده قول بعض العرب : أَشْدَر فى أَجْدر[٣] والمضارعة وإن كانت كثيرة ، إلا أن البيان أكثر (أى عدم المضارعة) .

ومن التقريب عند سيبويه قول بعض العرب : اجْدَمَعُوا ، واجْدَرَعُوا فى اجتمعوا واجترءوا[٤] ، وإنما أبدلوا التاء دالاً تأثراً بمجاورها المجهور وهو الجيم ، وهو تأثر تقدمى .

---

[١] نفسه .

[٢] نفسه : ٤/٤٧٩ .

[٣] لحن العامة ، د. عبد العزيز مطر : ٢٤٦ .

[٤] الكتاب ٤/٤٧٩ .

phonetics-acoustics.blogspot.com

ومن التقريب عنده ما حكاه عن بنى العنبر من تميم أنهم يبدلون السين صاداً عند القاف ، والطاء ، والعين ، والغين ، والخاء إذا كنَّ بعدها فى كلمة ، ولا تبالى إذا كانت هذه الحروف بعد السين مباشرة أم فصل بينهما فاصل ، وذلك قولهم فى سُقْتُ وسَبَقْتُ صقت وصبقت ، وقالوا فى السراط : الصراط وفى ساطع : صاطع ، وفى سالغ : صالغ[1] وفى سلخ : صلخ .

ثم يقرر سيبويه أن الأعرب الأكثر الأجود فى كلام العرب ترك السين على حالها ، ولكن بنى العنبر من تميم يقلبونها صاداً عند هذه الحروف ، ولم يبالوا ما بين السين وهذه الحروف من الحواجز[2] .

أما الممائلة بين الحركات المتجاورة فقد أشار إليها سيبويه فى باب الإمالة حين قال : فالألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور ، وذلك قولك : عابد وعالم ، ومساجد ومفاتيح ، وعُذافِر[3] ، وهابيل ، وإنما أمالوها للكسرة التى بعدها أرادوا أن يقربوها منها كما قربوا فى الإدغام الصاد من الزاى حين قالوا : صَدَر فجعلوها بين الزاى والصاد فقربها من الزاى والصاد : التماس الخفة ، لأن الصاد قريبة من الدال ، فقربها من أشبه الحروف من موضعها بالدال ، وبيان ذلك فى الإدغام ، فكما يريد فى الإدغام أن يرفع

---

[1] سَلَغَتِ الشاةُ والبقرة تَسْلَغُ وهى سالغ : تَمَّ سِنُّها ، وأما صالغ فعلى المضارعة : اللسان مادة (سلغ): ٢٠٦٧/٣ وفى اللسان (صلغ) : ٢٤٨٣/٤ : " وصَلَغَتِ الشاةُ والبقرة تصلَغُ صلوغاً ، وهى صالغ : تمت أسنانها "

[2] الكتاب : ٤٨٠/٤ .

[3] جمل عُذافِر : صلب عظيم شديد ، والأنثى بالهاء ، قال الأزهرى : العذافرة : الناقة الشديدة الأمينة الوثيقة الظهيرة ، والعذافر : الأسد الشديد ، صفة غالبة ، وعذافر : اسم رجل ، وعذافر اسم كوكب الذَّنَب ، اللسان : (عذفر) ٢٨٦١/٤ .

phonetics-acoustics.blogspot.com

لسانه من موضع واحد ، كذلك يقرب الحرف إلى الحرف على قدر ذلك ، فالألف تشبه الياء ، فأرادوا أن يقربوها منها " [١] .

٢ ــ المماثلة عند ابن جنـــى :

عرض ابن جنى لظاهرة المماثلة فى باب " الإدغام الأصغر " [٢] وهو " تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير إدغام يكون هناك " . وتقريب الحـــرف مـــن الحرف عند ابن جنى على ضروب :

الأول : التقريب فى الأصوات الساكنة ، والثانى : تقريب فى أصوات اللين . فأما الأول : فيقول عنه ابن جنى :

أ ــ ومن ذلك أن تقع فاء (افتعل) صاداً ، أو ضاداً ، أو طـــاء ، أو ظـــاء ، فتقلب لها تاؤه طاء ، وذلك نحو : اصطبر ، واضطرب ، واطـــرد ، واظطلـــم ، فهـــذا تقريب من غير إدغام ، فأما اطّرد فمن ذا الباب أيضاً ، ولكن إدغامه ورد ههنا التقاطاً لا قصداً ، فلما أبدلت تاؤه طاء صادفت الفاء طاء فوجب الإدغام لما اتفق حينئذ ،ولو لـــم يكن هناك طاء لم يكن إدغام ، ألا ترى أن اصطبر ، واضطرب ، واظطلم لما كان الأول منه غير طاء لم يقع إدغام " [٣] .

وهنا يبين ابن جنى : أنه إذا كانت فاء (افتعل) أحد حروف الإطباق فإن تاء (افتعل) تبدل طاء ليناسب ما قبله فى الإطباق ، لتتم المماثلة بين الأصوات ، أمـــا مـــا حدث فى اطرد من إدغام فإن ابن جنى يعلل له بأن الأصل فيه اطترد ، فلما أبدلت تـــاء (افتعل) طاء للمماثلة ، اجتمع طاءان فأدغمت الأولى فى الثانية من غير قصد للإدغام ،

---

[١] الكتاب : ١١٧/٤ .

[٢] ينظر : الخصائص لابن جنى : ٢ / ١٤٣ ــ ١٤٧ ط / الهيئة العامة للكتاب .

[٣] الخصائص : ١٤٣/٢ .

phonetics-acoustics.blogspot.com

لأن النطق بالمثلين بدون إدغام يصعب على اللسان لما فى ذلك من تراجعه إلى الوراء بعد الانتقال منه .

ب ـــ " ومن ذلك أن تقع فاء (افتعل) زايا ، أو دالاً ، أو ذالاً ، فتقلب تاؤه لها دالاً كقولهم : ازدان ، وادّعى ، (وادّكر واذدكر) فيما حكاه أبو عمرو .

فأما ادّعى فحديثه حديث اطّرَدَ لا غير فى أنه لم تقلب قصداً للإدغام ، ولكن قلبت تاء ادعى دالاً ، كقلبها فى ازدان ، ثم وافقت فاؤه الدال المبدلة من التاء ، فلم يكن من الإدغام بد .

وأما اذدكر فمنزلة بين ازْدان ، وادّعى ، وذلك أنه لما قلبت التاء دالاً لوقوع الذال قبلها صار إلى : اذدكر ، فقد كان هذا وجهاً يقال مثله ، مع أن أبا عمرو قد أثبته وذكره ، غير أنه أجريت الذال لقربها من الدال بالجهر مجرى الدال ، فأوثر الإدغام لتضام الحرفين فى الجهر فأدغم فهذه منزلة بين منزلتي ازْدان وادّعى ، وأما اذّكر فكاسّمع ، واصّبر "[1] .

جـ ـــ ومن ذلك أن تقع السين قبل الحرف المستعلى فتقرب منه بقلبها صادا وذلك قولهم فى سُقْتُ : صُقت ، وفى السُّوق : الصوق ، وفى سَبَقْتُ : صَبَقْتُ ، وفى سَمْلَق[2] وسَويق : صَمْلق وصَويق ، وفى سالغ وساخط : صالغ ، وصاخط ، وفى سقر صقر ، وفى مسالخ : مصالخ[3] .

---

[1] الخصائص : ١٤٤/٢ .

[2] السَّمْلَقُ : الأرض المستوية ، وقيل : القفر الذى لا نبات فيه ينظر : اللسان : (سملق) : ٣ / ٢١٠١ .

[3] الخصائص : ١٤٤/٢ ، ١٤٥ .

phonetics-acoustics.blogspot.com

د ـــ ومنه تقريب الحرف من الحرف نحو قولهم فى مَصْدَر : مَزْدَر ، وفى التَّصْدير : التزدير ، وعليه قول العرب فى المثل : (لم يُحْرَم مَن فُزْدَ له) أصله : فُصِدَ لَـــهُ ، ثـــم أسكنت العين [1] على قولهم فى ضُرِبَ : ضُرْب ، وقوله :

وَنُفْخُوا فى مَدَائنهم فطاروا

فصار تقديره : فُصْدَ له ، فلما سكنت الصاد فضعفت به ، وجاورت الصاد ـــــ وهـــى مهموسة ـــ الدال ـــ وهى مجهورة ـــ قربت منها بأن أشمت شيئاً مـــن لفـــظ الـــزاى المقاربة للدال بالجهر [2] .

هـــ ـــ ومن ذلك قولهم : ستّ أصلها : سِدْس ، فقربوا السين من الدال بأن قلوبها تاء ، فصارت سِدْت فهذا تقريب لغير إدغام ، ثم إنهم فيما بعد أبدلوا الدال تاء لقربهـــا منهـــا إرادة للإدغام الآن ، فقالوا : سِتّ ، التغيير الأول للتقريب من غير إدغام ، والتغيير الثانى مقصود به الإدغام [3] .

---

[1] الفَصْدُ : شق العرق ، فَصَدَهُ يَفْصِدُه فَصْداً وفِصاداً ، فهو مفصود وفصيد ، وفَصَدَ الناقةَ : شقّ عرقها ليستخرج دمه فيشربه والفصيد : دم كان يوضع فى الجاهلية فى مِعىً من فَصْدِ عِرْق البعير ويُشـــوى ، وكان أهل الجاهلية يأكلونه ويطعمونه الضيف فى الأزمة . اللسان (فصـــد) ٣٤٢٠/٥ ، والتهذيـــب (فصد) ١٤٧/١٢ ، وقال أبو عبيد : من أمثالهم فى الذى يقضى له بعض حاجته دون تمامها : (لـــم يُحرم من فُصْدَ له) بإسكان الصاد ، وربما قالوا : فُزْد له ، وقال صاحب القاموس فى أصل هذا المثل : "بات رجلان عند أعرابى فالتقيا صباحاً فسأل أحدهما صاحبه عن القِرى فقال : ما قُرِيتُ وإنما فُصِدَ لى، فقال : (لم يحرم من فصد له) وسكن الصاد تخفيفاً ، ويروى من (فُزْد لـــه) بـــالزاى ، القـــاموس (فصد) ٣٢٠/١ وتأويل هذا أن الرجل كان يضيف الرجل فى شدة الزمان فلا يكون عنده مـــا يقريـــه ويشح أن ينحر راحلته فيفصدها ، فإذا خرج الدم سخنه للضيف إلى أن يجمد ويقوى فيطعمه إياه فجرى المثل فى هذا أى لم يُحرم القِرى من فُصِدَت له الراحلة فحظِىَ بدمها . اللسان : (فصد) ٣٤٢٠/٥ .

[2] الخصائص : ١٤٦/٢ .

[3] السابق ١٤٥/٢ .

الثاني : التقريب في أصوات اللين :

عرض ابن جنى للمماثلة بين الحركات فى باب الإدغام الأصغر وأسماها " تقريب الصوت من الصوت " ، ومثل لها بأمثلة كثيرة من كلام العرب ، وهذا كلامه :

أ ـ " من ذلك الإمالة ، وإنما وقعت فى الكلام لتقريب الصوت من الصوت وذلك نحو عالم ، وكتاب ، وسعى ، وقضى ، واستقضى ، ألا تراك قربت فتحة العين من عالم إلى كسرة اللام منه ، بأن نحوت بالفتحة نحو الكسرة فأملت الألف نحو الياء ، وكذلك سعى وقضى نحوت بالألف نحو الياء التى انقلبت عنها ، وعليه بقية الباب "[1] .

ب ـ " ومن تقريب الصوت من الصوت مع حروف الحلق نحو : شِعير ، وبِعير ، ورِغيف ، وسمعت الشجرى غير مرة يقول : زِئير الأسد ، يريد الزَّئير ، وحكى أبو زيد عنهم : الجنة لمن خاف وِعيد الله "[2] .

جـ ـ ومن ذلك أيضا : (فَعَلَ يَفْعَلُ) مما عينه أو لامه حرف حلقى نحو : سأل يسأل وقرأ يقرأ ، وسَعَرَ يَسْعَرُ ، وقَرَعَ يَقْرَعُ ، وسَحَلَ يَسْحَلُ [3] . وسَبَحَ يَسْبَحُ ، وذلك أنهم ضارعوا بفتحة العين فى المضارع جنس حرف الحلق لما كان موضعا[4] منه مخرج الألف التى منها الفتحة [5] .

---

[1] الخصائص : ٢/ ١٤٣

[2] السابق ٢/ ١٤٥ .

[3] سَعَر النار والحرب يَسْعَرُهَا سَعْراً ، وأسعرها وسعَّرها أوقدها وهيجها واستعرت وتسعَّرت : استوقدت . ينظر : اللسان (سعر) ٣/٢٠١٥ ، والسَّحْل والسَّحيل : ثوب لا يُبرم غزله أى لا يفتل طاقين ، سَحَلَه يَسْحَلُه سَحْلاً ، يقال : سحلوه أى لم يفتلوا سداه . اللسان (سحل) : ٣ / ١٩٥٧ .

[4] لما كان الحلق موضعا لحروف الحلق التى منها الألف ، ولما كانت الفتحة بعض الألف فجعلوها قبل الحلقى إن كان لاما ، وبعده إن كان عينا ليسهل النطق بحروف الحلق الصعبة ، شرح الشافية : ١ / ١١٩ .

[5] الخصائص : ٢ / ١٤٥ .

phonetics-acoustics.blogspot.com

د ــ ومن التقريب قولهم : الحمدُ لُله ، والحمدِ لِله .

ثم يبين ابن جنى فى نهاية حديثه أن العرب قد آثرت قرب الصوت من الصوت حتى دعاهم ذلك إلى الإخلال بالإعراب فى نحو : الحمدُ لُله ، والحمدِ لِله . فيقـــول : " وقد دعاهم إيثار قرب الصوت إلى الصوت أن أخلوا بالإعراب (فقالوا) الحمـــدُ لُلـــه والحمدِ لِله "[1] .

تعقيب :

مما سبق يتبين لنا أن القدماء عرضوا لظاهرة المماثلة ، وأســـموها بالمضارعـــة حينا وبالتقريب حينا آخر ، كما أنهم بينوا أسبابها والداعى إليها ، وكان للمحدثين فضل الجمع والتنظيم والاعتراف بجهد القدماء وعبقريتهم يقول الدكتور أنيـــس : إن تنـــاول القدماء لهذه الظاهرة يدل على عبقرية هؤلاء العلماء بالنسبة للعصور التى عاشوا فيها .

فقد تناول سيبويه فى أكثر من موضع من كتابه ما يحدث من تأثر الأصـــوات المتجاورة بعضها ببعض ، لكن الدكتور أنيس يأخذ على القدماء أن المماثلة لم توصـــف فى كتبهم على أنها ظاهرة عامة ، ولم تفصل على النحو الذى شهدناه عند المحدثيـــن ، وأنهم قصروها على أمثلة محدودة متناثرة وقعت لهم فيما يبدو عن طريق المصادفـــة[2] ولكنى أرى غير ذلك فى هذا المأخذ :

---

[1] السابق : ١٤٧/٢ .

[2] الأصوات اللغوية د . أنيس ٢٠٤ ــ ٢٠٧ .

phonetics-acoustics.blogspot.com

فقد عرض القدماء لها فى مواطن كثيرة من كتبهم ، وأقدم شاهد علـى ذلـك باب الإدغام عند إمام العربية سيبويه ثم حديثه عن المماثلة فى باب الحرف الذى يضارع به حرف من موضعه والحرف الذى يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه ، ثم حديثه عنها فى باب : ما كان شاذا مما خففوا على ألسنتهم وليس بمطرد ثم حديثه عنها فـى باب ما تقلب فيه السين صاداً فى بعض اللغات [١] .

وكذلك عرض لها ابن جنى فى حديثه عن الإدغام الأصغر[٢] وذلك فى كتابه الخصائص وقد عرض لها أيضا فى باب أسماء الحروف وأجناسها وفروعها المستحسـنة والمستقبحة وذكر خلاف العلماء فيها مستقصى مشروحا وذلك فى كتابه سـر صناعـة الإعراب [٣] .

كما أن علماء القراءات فطنوا إلى ما يحدث بين الأصوات من تـأثير وتـأثر ، فخشوا على القرآن الكريم من أن يصيب أصواته شئ من التغيير ، فوصفوا أصواته وحددوا مخرج كل حرف تحديدا دقيقا ، واعتمدوا فى كل ذلك على تجاربهم الذاتية التى تشهد لهم بالسبق والريادة .

كما أن علماء القراءات نبهوا على انحراف الألسنة فى النطق ببعض الأصوات إذا جاورت أصواتا معينة ، ومن أمثلة ذلك أنهم حذروا من تفخيم الباء إذا أتـى بعدهـا حرف مفخم نحو : (بطل ، بغى ، بصلها) ، كما حذروا من ذهاب شدتها إذا رققـت كما يفعله كثير من المغاربة ، ولا سيما إذا جاء بعدها حرف خفيف نحو : (بهم ، به)

---

[١] الكتاب : ٤ / ٤٣١ ــ ٤٨٥ .

[٢] الخصائص : ٢/ ١٤١ ــ ١٤٧ .

[٣] سر صناعة الإعراب ١ / ٤٦ وما بعدها .

phonetics-acoustics.blogspot.com

أو حرف ضعيف نحو : (بثلاثة ، وبذى ، وبساحتهم) ، وإذا سكنت كان التحفظ بما فيها من الشدة والجهر أشد نحو : (رَبْوة ، والخَبْء)[١] .

نخلص من كل ما سبق أن القدماء تناولوا ظاهرة المماثلة تناولاً لم يسبقوا إليه ، وخصوها بمباحث معينة فى كتبهم ، ولم تقع أمثلتها لهم عن طريق المصادفة لأنهم كانوا أخوف الناس على اللفظ القرآنى الفصيح من أن ينحرف به اللسان أو يتطرق إليه اللحن ، فجزاهم الله عن كتابه وعنا خير الجزاء .

ولم أجد الفرق بين القدماء والمحدثين إلا فى التسمية فقط ، فالمحدثون يقولون عن تأثر الأصوات بعضها ببعض حين تتجاور : المماثلة ، أما القدماء فيقولون عن ذلك : المضارعة أو التقريب ، وكلها تدل على مشابهة الحرف بالحرف ومضارعته به ، فالمضارعة المشابهة ، والمضارعة للشئ أن يضارعه كأنه مثله أو شبهه[٢] والقريب ضد البعيد والتقارب ضد التباعد[٣] والمماثلة المشابهة ، يقال : ماثل الشئ شابهه[٤] .

٢ ــ المخالفة :

إذا كانت المماثلة تعنى التقريب بين الأصوات المتجاورة تحقيقاً للانسجام الصوتى ، وتيسيراً لعملية النطق ، واقتصاداً فى الجهد العضلى ، فإن المخالفة تشاركها فى تحقيق هذا الهدف لكنها تختلف عنها فى المسلك الذى تسلكه حتى يتحقق الانسجام بين الأصوات المتجاورة .

---

[١] النشر : ١ / ٢١٦ ، وينظر : ١/ ٢١٤ ــ ٢٢٤ .

[٢] اللسان (ضرع) ٤/ ٢٥٨١ .

[٣] السابق (قرب) ٥ / ٣٥٦٧ .

[٤] السابق (مثل) ٦ / ٤١٣٥ .

phonetics-acoustics.blogspot.com

إذا كان الأمر كذلك فما حقيقة المخالفة ؟

المخالفة هى : تحويل أحد الصوتين المتماثلين فى الكلمة الواحدة إلى صوت آخر منعاً للثقل وتحقيقاً للانسجام بين الأصوات المتجاورة ، ويحدث هذا فى الكلمة المشتملة على التضعيف بأن يتغير أحد الصوتين المضعفين إلى صوت لين طويل أى واو المد ، أو ياء المد أو ألف المد ، أو إلى أحد الأصوات الشبيهة بأصوات اللين وهى الأصوات المسماة بالأصوات المائعة وهى : اللام والميم والنون والراء .

ووجه الشبه بين الأصوات المائعة وأصوات اللين ، كما تبرهن عليه الدراسات الصوتية الحديثة تبدو فى ثلاث نواح :

١ ــ الناحية الفسيولوجية : وهى أن مجرى الهواء مع هذه الأصوات يتسع أكثر من اتساعه مع الأصوات الساكنة الأخرى وهذا الاتساع يجعل الحفيف يكاد لا يسمع ، فتشبه بذلك أصوات اللين التى يتسع معها مجرى الهواء جداً ، بحيث لا يسمع لها أى نوع من الحفيف ، وإن كان مجرى الهواء معها خالياً من أى حائل أو مانع .

٢ ــ ناحية الأثر السمعى : لاحظ اللغويون المحدثون أن النون وأخواتها أقرب الأصوات الساكنة إلى أصوات اللين فى الوضوح السمعى ، وهو الأساس الصوتى الذى بنيت عليه التفرقة بين الصوت الساكن وصوت اللين .

٣ ــ كثرة شيوع هذه الأصوات وسهولتها فى النطق مما يجعلها شبيهة بأصوات اللين التى يكثر شيوعها بنسبة كبيرة جداً فى الكلام ، ويسهل النطق بها .

phonetics-acoustics.blogspot.com

وغاية هذه الظاهرة : تحقيق السهولة فى النطق وتقليل الجهد العضلى ، ذلك أن النطق بالصوت المضعف يتطلب مجهوداً عضلياً أكبر مما لـــو قلـــب أحـــد الصوتيـــن المضعفين إلى صوت لين أو إلى أحد الأصوات الشبيهة بأصوات اللين[١] .

وهذه الظاهرة التى عرفت بالمخالفة قد أشار إليها القدماء فى كتبهم وذكـــروا أسبابها والداعى إليها ، يقول إمام العربية سيبويه : " باب ما شذ فأبدل مكان اللام يـــاء كراهية التضعيف وليس بمطرد " ومثل لها بقولهم : تسرّيت وتَظَنَّيت وتقَصَّيت وأصلهـــا تسرَّرت ، وتظنَّنت ، وتقصَّصت [٢]

وقد أشار إليها ابن جنى أيضاً وبين سببها وهوأنهم استثقلوا النطق بالمثلين لأن الرجوع من أحدهما بعد الانتقال عنه إلى الآخر يسبب صعوبة فى النطق [٣] .

فابن جنى يذكر لنا أنهم استثقلوا النطق بالمثلين فقلبوا أحدهما ياء فى مثـــل : أمْلَيْتُ وأصلها : أمللت ، وقولهم : لا وربيك فى : لا وربِّك لا أفعل ، وقولهم : أيما فى أمَّا ، وقراءة : إيلًا ولا ذمة فى قوله تعالى : (كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلًّا ولا ذمة) [٤] .

من أمثلة المخالفة فى العربية ولهجاتها :

---

[١] الأصوات اللغوية . د . أنيس ٢٦ ــ ٢٨ ، لحن العامة د . عبد العزيز مطر ٢٥٩ ــ ٢٦١ ، أصوات اللغة العربية . د . عبد الغفار هلال ٢٨٨ ــ ٢٩٠ .

[٢] الكتاب لسيبويه ٤ / ٤٢٤ .

[٣] أصوات اللغة العربية ، د . عبد الغفار هلال ٢٨٨ .

[٤] الخصائص ٢ / ٢٣٢ ، والآية رقم : ٨ / التوبة .

phonetics-acoustics.blogspot.com

(١) قال أبو عبيدة : العرب تقلب حروف المضاعف إلى الياء فيقولون : تظنيت وإنما هو تظننت ، وتقضّى والأصل تقضّض ، فلما اجتمعت ثلاث ضادات قلبت إحداهن ياء ، ومثله : تمطّى وأصله تمطّط أى تمدّد ، وفى التنزيل العزيز (ثم ذهب إلى أهله يتمطّى) [١] .

(٢) من الأمثلة التى رواها ابن السكيت مما أبدل فيه أحد المثلين ياء كراهية التضعيف ، قول الشاعر :

تَـزُورُ امرأً أما الإلـهَ فَيَتَّقِـى
وأما بِفِعْلِ الصَّالِحِينَ فيأْتَمِـى

أراد : يأْتَمّ [٢] .

وقولهم : تلعّيتُ من اللُّعاعة أى أن الأصل : تلعّعْتُ ، وتلعّى اللُّعاعَ أكله ، وهو من محول التضعيف ، يقال : خرجنا نتلعّى أى نأكل اللُّعاعَ ، كان فى الأصل : نتلعّعُ مكرر العينات فقلبت إحداها ياء كما قالوا : تَظَنّيْتُ من الظَّنّ [٣] .

(٣) قال الله تعالى : (وقد خاب من دسّاها) . قال الفراء : ودسّاها من دسست ، بدلت بعض سيناتها ياء وفى الحديث الشريف : "استجيدوا الخال فإن العرق دسّاس " أى دخّال لأنه يَنْزِعُ فى خفاء ولُطف [٤] . .

(٤) وقالوا : تسرّرْتُ وتسرّيْتُ على تحويل التضعيف [٥] .

---

[١] الإبدال لابن السكيت ١٣٣ ، واللسان (قضض) ٥ / ٣٦٦١ ، والآية : ٣٣ / القيامة .

[٢] الإبدال لابن السكيت ١٣٥ ، اللسان (أمم) ١ / ١٣٤ .

[٣] اللسان (لعع) ٥ / ٤٠٤٢ ، واللُّعاع : أول النبت ، وقيل هو بقل ناعم فى أول ما يبدو رقيق ثم يغلُظ ، واحدته لُعاعة وفى الحديث :

" إنما الدنيا لعاعة " يعنى أن الدنيا كالنبات الأخضر قليل البقاء .

[٤] السابق (دسس) ٢ / ١٣٧٣ .

[٥] السابق (سرر) ٣ / ١٩٨٩ .

phonetics-acoustics.blogspot.com

وحكى أبو الطيب اللغوى : الخَدَنَّق ، والخَدَرْنَق ، والخَدَنَّق ، والخَذَرْنق أربعة أسماء للعنكبوت . فأبدل من إحدى النونين راء [١] .

(٥) ذكر أبو على القالى فى قولهم : " حَسَنٌ بَسَنٌ " أن لفظ بسن من البَسّ وأن النون بدل من حرف التضعيف لأن حروف التضعيف تبدل منها الياء كما فى تظنيت وتقصيت وأشباههما فلما كانت النون من حروف الزيادة كما أن الياء من حروف الزيادة وكانت من حروف البدل كما أنها من حروف البدل أبدلت من السين ، إذ مذهبهم فى الإتباع أن تكون أواخر الكلم على لفظ واحد مثل القوافى والسجع ولتكون مثل حَسَنٍ [٢].

(٦) مما أبدل فيه أحد المضعفين راء : فَقَّعَ أصابعه وفَرْقَعَ [٣] .

(٧) وفى اللهجات العربية نجد أن بنى تميم يقولون فى : أَمْلَلْتُ : أمليت والأولى لغة أهل الحجاز ، وقد جاء القرآن الكريم باللغتين ، قال تعالى : (وليملل الذى عليه الحق) [٤] ، وقال تعالى : (فهى تملى عليه بكرة وأصيلا) [٥] .
واللغة الأولى من أَمَلَّ يُمِلُّ والثانية من أملى يُمْلِى [٦] .

(٨) لغة تميم وبنى عامر أَيْما فى أَمَّا ، يبدلون من إحدى الميمين ياء كراهية التضعيف [٧] .

(٩) ويرى بعض الباحثين المحدثين أن المخالفة تكون فى الحركات كما كانت فى الحروف ، ومثل لذلك بإبدال إحدى الضمتين المتجاورتين فتحة كما فى

---

[١] نقلا عن لحن العامة ، د . عبد العزيز مطر ٢٦٣ .

[٢] الأمالى لأبى على القالى ٢ / ٢١٧ .

[٣] لسان العرب (فقع) ٥ / ٣٤٤٨ .

[٤] من الآية ٢٨٢ / البقرة

[٥] من الآية ٥ / الفرقان ،

[٦] إعراب القرآن للنحاس ١ / ٣٤٤ .

[٧] السابق ١ / ٢٠٤ وينظر : المصباح المنير ٢ / ٥٨٠ ، وفيه : " والأولى لغة الحجاز وبنى أسد ، والثانية لغة بنى تميم وقيس وجاء الكتاب العزيز بهما " .

phonetics-acoustics.blogspot.com

(سُرَر) والأصل : (سُرُر) ، وذُلَل فى ذُلُل لاستثقال اجتماع ضمتين مع التضعيف ، وإبدال الفتحة كسرة فى نصب جمع المؤنث السالم ، والهدف من ذلك تجنب النطق بمجموعة من الحركات المتحدة الطابع لأن الفتحة بعض الألف . وهذا يفسر لنا لماذا كسرت نون المثنى على عكس نون جمع المذكر السالم التى فتحت [١] .

(١٠) وقد تقع المخالفة بين الصوامت والصوائت التى يوجد بينها وجه شبه ، وذلك مثل الواو والياء بالنسبة للضمة والكسرة ، حيث إن وضع اللسان فى حال النطق بالواو والياء يكون قريب الشبه بوضعه مع الضمة والكسرة ، من أجل ذلك مالت اللغة العربية إلى تحقيق لون من المخالفة فى المواضع التى تتجاور فيها الواو والياء مع الكسرة، وبذلك فسر بعض المحدثين إبدال الواو والياء همزة فى اسم الفاعل من الأجوف ، فالأصل فى قائل وبائع : قاوِل وبايع ، ثم حدث نوع من المخالفة بين الواو والكسرة ، وبين الياء والكسرة ، فصارت الواو والياء إلى الهمزة ، ومثل ذلك يحدث فى جموع التكسير التى على فواعل وفعائل ، فيقال فى فوايد : فوائد ، وفى عجاوِز عجائز [٢] .

٣ ــ الإدغـــام

الإدغام ضرب من التأثير الذى يقع فى الأصوات المتجاورة إذا كانت متماثلة أو متجانسة أو متقاربة [٣] ، وهو من التقريب لأنه لايتم إلا بإبدال الحرف المدغم ليكون مثلًا للمدغم فيه ، وقد أخذت به العربية سبيلًا إلى تخفيف نطق الكلم أوسع أخذ حتى كاد يجرى فى كل تتابع لحرفين متماثلين أو متقاربين [٤] فى كلمة أو كلمتين [٥] .

---

[١] دراسة الصوت اللغوى د . أحمد مختار عمر ٣٣١ .

[٢] دراسات فى علم الأصوات اللغوية ٢٠٥ .

[٣] اللهجات العربية فى القراءات القرآنية د. عبده الراجحى ١٢٦ .

[٤] مصطلح المتقاربين هنا يشمل المتجانسين .

[٥] خصائص اللغة العربية ، د. محمد حسن جبل ٨٩ .

phonetics-acoustics.blogspot.com

تعريف الإدغام :

أولا : فى اللغة : ذكر صاحب التهذيب فى مادة (دغم) : " دغم الغيث الأرض يدغمها وأدغمها : إذا غشيها وقهرها ... ، والإدغام إدخال اللجام فى أفواه الدواب وإدغام الحرف فى الحرف مأخوذ من هذا ، وقال الليث : هو إدخال حرف فى حرف " [١] .

ثانيا : الإدغام عند النحويين : يقول ابن يعيش : " ومعناه فى الكلام (أى الإدغام) أن تصل حرفا ساكنا بحرف مثله متحرك من غيرأن تفصل بينهما بحركة أو وقف ، فيصيران لشدة اتصالهما كحرف واحد ، ترتفع اللسان عنهما رفعة واحدة شديدة، فيصير الحرف الأول كالمستهلك لا على حقيقة التداخل والإدغام " [٢] .

ويفهم من كلام ابن يعيش أن النحويين لا يجعلون الإدغام فناء للصوت الأول فى الثانى فناء تاماً ، بل يجعلون الحرفين كأنهما لشدة اتصالهما يصيران حرفاً واحداً ، يرتفع اللسان عنهما رفعة واحدة .

وهذا ما صرح به الرضى ، إذ يقول : " وليس إدغام الحرف فى الحرف إدخاله فيه على الحقيقة ، بل هو إيصاله به من غير أن يفك بينهما " [٣] .

والفرق بين اللغويين والنحاة : أن اللغويين يجعلون الإدغام شاملاً لقلب الصوت إلى نظيره لإدخاله فيه ، على حين يقصره النحويون على مجرد النطق بمثلين ساكن فمتحرك ، فعملية القلب منفصلة عن عملية الإدغام عندهم [٤] .

---

[١] تهذيب اللغة (دغم) : ٨ / ٧٨ .

[٢] شرح المفصل : ١٠ / ١٢١ .

[٣] شرح الشافية : ٣ / ٢٣٥ .

(٤) أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى ، د. عبد الصبور شاهين : ١٢٣ .

phonetics-acoustics.blogspot.com

ثالثاً : الإدغام عند القراء : هو " اللفظ بحرفين حرفاً كالثانى مشدداً " [١] . ولا يتم الإدغام على هذا التعريف إلا بإسكان الحرف الأول ، إن لم يكن ساكناً وإبداله إلى مثل الثانى فى المتقاربين ، والمتجانسين [٢] .

الغرض من الإدغام :

يفهم من تعريف ابن جنى للإدغام . أن الغرض منه التماس الخفة فى الكلام واليسر فى الأداء ، فهو يقول فى تعريفه : " إنما هو تقريب صوت من صوت " [٣] .

ويقول ابن يعيش : " والغرض بذلك التخفيف لأنه ثقل عليهم التكرير والعود إلى حرف بعد النطق به ، وصار ذلك ضيقاً فى الكلام بمنزلة الضيق فى الخطو على المقيد ، لأنه إذا منعه القيد من توسيع الخطو صار كأنه إنما يقيد قدمه إلى موضعها الذى نقلها منه، فثقل ذلك عليه ، فلما كان تكرير الحرف كذلك فى الثقل حاولوا تخفيفه بأن يدغموا أحدهما فى الآخر ، فيضعوا ألسنتهم على مخرج الحرف المكرر وضعة واحدة ، ويرفعوها بالحرفين رفعة واحدة ، لئلا ينطقوا بالحرف ثم يعودوا إليه "[٤].

وبعد أن عرضت لتعريف الإدغام فى اللغة ، وعند النحويين والقراء ، والغرض منه ، أعرض لأسبابه وشروطه ، وموانعه ، وتقسيمه إلى كبير وصغير .

١ ــ أسباب الإدغام :

---

[١] النشر : ١ / ٢٧٤ .

[٢] خصائص اللغة العربية د/ جبل : ٨٩ .

[٣] الخصائص ٢ / ١٤١ ط / الهيئة المصرية العامة للكتاب .

[٤] شرح المفصل : ١٠ / ١٢١ .

phonetics.acoustics.blogspot.com

ذكر علماء القراءات أن للإدغام أسباباً ثلاثة : ــ

أولها : التماثل : وهو أن يتحد الحرفان مخرجاً وصفة كالياءين والميمين نحو قوله تعالى: (نُصِيبُ بِرحمتنا) [١] ، (ويا قومِ مَالى) [٢] ، (اذهب بِّكتابى) [٣] ، (فى قلوبهم مَّرض) [٤] .

وثانيها : التجانس وهو أن يتفقا مخرجا ويختلفا صفة كالتاء مع الطاء ، والدال مع التاء ، نحو قوله تعالى : (ولتأتِ طآئفة) [٥] ، (تَكَادُ تَمَيَّزُ) [٦] .

وثالثها : التقارب ، وهو أن يتقاربا مخرجاً أو صفة ، أو مخرجاً وصفة [٧] .

٢ ــ شروط الإدغام :

للإدغام شرطان :

أ ــ شرط للمُدْغَم ، وهو أن يلتقى الحرفان خطاً ولفظاً أو خطـــاً لا لفظـاً ، ليدخل نحو : (إنه هو) ، ويخرج نحو (أنا نذير) لوجود الألف خطاً ، وإن لم يكـــن يلفظ به .

---

[١] من الآية ٥٦ / يوسف عليه السلام .

[٢] من الآية ٤٢ / غافر .

[٣] من الآية ٢٨ / النمل .

[٤] من الآية ١٠ / البقرة .

[٥] من الآية ١٠٢ / النساء .

[٦] من الآية ٨ / الملك .

[٧] النشر : ١ / ٢٧٨ ، الإتحاف ٢١ ، نهاية القول المفيد ص : ١٠٤ .

phonetics-acoustics.blogspot.com

ب ــ الشرط الثانى فى المُدْغَم فيه ، وهو كونه أكثر من حرف إن كان من كلمة ، فيدخل نحو : (خَلَقَكُم) ، ويخرج نحو : (نَرْزُقْكَ) ، (خَلَقْتَ) [١] .

موانع الإدغام :

ذكر علماء القراءات أن موانع الإدغام قسمان : متفق عليه ، ومختلف فيه . فالمتفق عليه ثلاثة هى :كون الأول من المثلين أو المتقاربين منوناً أو مشدداً أو تاء ضمير. فالمنون : نحو : (غفورٌ رَحيم) ، (سميعٌ عَليم) ، (فى ظلماتٍ ثَلاث) ، (رَجُلٌ رَشِيدٌ) . والسبب فى ذلك أن التنوين حاجز قوى فجرى مجرى الأصول فمنع من التقاء الحرفين ، بخلاف صلة (إنه هو) لعدم القوة ، ولا تمنع زيادة الصفة فى المدغم ، ولذا أجمعوا على إدغام (بَسَطتَ) ، ونحوه .

والمشدد : نحو : (رَبِّ بِمَآ) ، (مَسَّ سَقَر) . ووجهه : ضعف المُدْغَم فيه عن تحمل المشدد لكونه بحرفين ، وإدغام حرفين فى حرف ممتنع لأنه لو أدغم فيه لانعدم أحد الحرفين .

وتاء الضمير : سواء كان متكلماً أو مخاطباً نحو : (كُنْتُ تُراباً) ، (جِئْتَ شيئاً إمْرًا) ، وسبب إظهارهما كونهما على حرف واحد ، فالإدغام مجحف به ، ولأن ما قبله ساكن ، ففى إدغامه جمع بين ساكنين ، ولأنه إذا أدغم التبس الأمر ، فلا يدرى ضمير المخبر من ضمير المخاطب [٢] .

وأما المختلف فيه من الموانع فهو : الجزم :

---

[١] النشر : ١ / ٢٧٨ ، الإتحاف ٢١ ، نهاية القول المفيد ص : ١٠٤ .

[٢] النشر ١ / ٢٧٩ ، الإتحاف ٢١ ، نهاية القول المفيد ١٠٥ ، ١٠٦ .

phonetics-acoustics.blogspot.com

وقد جاء فى المثلين فى نحو : (يَحْلِلْ لَكُم) ، (وإن يَكُ كاذباً) ، (ومَن يَبْتَغِ غَيْرَ) ، كما جاء فى المتجانسين فى نحو : (ولتأت طائفة) ، و (وآت ذا القربىٰ) كما جاء فى المتقاربين فى قوله تعالى : (ولم يُؤْتَ سَعَةً) .

والعلماء فى الاعتداد بهذا المانع وعدمه فريقان : فأكثرهم على الاعتداد به مانعاً مطلقاً ، وبعضهم لم يعتد به مطلقاً .

" والمشهور الاعتداد به فى المتقاربين ، وإجراء الوجهين فى غيره" [1] .

فـــائـــــدة :

اعلم أن الحروف العربية الأصول التسعة والعشرين تنقسم بالنسبة إلى هذا الباب (الإدغام) إلى أربعة أقسام :

الأول : ما لا يدغم فى شئ وهو سبعة أحرف : (الهمزة والألـــف ، والخـــاء المعجمة ، والطاء ، والظاء ، والصاد المهملة ، والزاى) فالسبعة بمعزل عن التمـــاثل إلا الأربعة الآخيرة باعتبار الإدغام فيها .

والثانى : لا يدغم إلا فى مثله وهو ستة أحرف : (الهاء ، والعين ، والغيـــن ، والياء ، والفاء ، والواو) .

والثالث : لا يدغم إلا فى مجانسة أو مقاربه لأنه لم يلق مثله وهو خمسة أحرف (الجيم والشين والضاد والدال والذال) .

والرابع : يدغم فى مثله ومجانسه ومقاربه وهو أحد عشر حرفاً :

(الحاء المهملة ، والقاف ، والكاف ، واللام ، والنون ، والراء ، والباء ، والتاء ، والثاء ، والسين ، والميم) [2] .

---

[1] النشر ١ / ٢٧٩ ، الإتحاف ٢١ ، نهاية القول المفيد ١٠٦ .

[2] نهاية القول المفيد : ١٠٦ .

phonetics.acoustics.blogspot.com

وقد عرفت من قبل أن الإدغام يكون فى المثلين والمتقاربين والمتجانسين ، وهذا بيان لكل واحدة على حدة .

فالمثلان : هما الحرفان اللذان اتحدا مخرجاً وصفة كالباءين والدالين ، نحو : (اضْرِب بِّعصاك) ، و (وقَد دَخلُوا) .

والمتقاربان : هما الحرفان اللذان تقارباً مخرجاً وصفة كالذال والزاى نحو : (وإذ زَيَّنَ) أو مخرجاً لا صفة كالدال والسين نحو : (قَدْ سَمِعَ) أوصفة لا مخرجاً كالذال والجيم نحو : (إذْ جاؤكم) .

والمتجانسان : هما الحرفان اللذان اتحدا مخرجا واختلفا صفة ، كالدال والتاء، نحو : (قَد تبيَّن) .

أقسام الإدغام عند القراء

يقسم القراء الإدغام إلى قسمين : كبير ، وصغير : —

فالأول الإدغام الكبير : وهو ما كان الأول من الحرفين فيه متحركا سواء أكانا مثلين أم جنسين أم متقاربين ، وينسب إلى أبى عمرو بن العلاء من القراء السبعة ، وهو الذى قال : " الإدغام كلام العرب الذى يجرى على ألسنتها ، ولا يُحْسِنُونَ غيره"[1] ومن أمثله فى المثلين من كلمة : (مَنَاسِكَكُم) فى البقرة ، و (مَا سَلَكَكُم) فى المدثر ولا ثالث لهما يجوز فيه إدغام المثلين فى كلمة إدغاما كبيرا ، ومن أمثلة فى كلمتين : (لَذَهَبَ بِسَمْعِهِم ، وترى الناسَ سُكارى) ، ومن أمثلة فى المتجانسين (خَلَقَكُم ،

---

[1] النشر ١ / ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، وكلام أبى عمرو فى صـ ٢٧٥ .

رَزَقَكُم ، أن يضرب مثلًا)[1] ومن أمثلة فى المتقاربين : (بأربعةِ شُهَدَآء ، يكادُ زَيتها) ، وفى هذه الأمثلة نجد التأثر بنوعيه التقدمى والرجعى والثانى الإدغام الصغير : وهو ما كان الأول منهما ساكنا ويكون فى المثلين والمتقاربين والمتجانسين ،ومن أمثلته فى المثلين فى كلمة : أينما يُوجِّهْهُ ، يُدْرِككُم ، وفى كلمتين : أضْرِب بِّعصاك ، وَقَد دَّخَلوا . ومن أمثلته فى المتقاربين : (وَقُل رَّبِّ ، بَل رَّان ، كَذَّبت ثَّمود) ، ومن أمثلته فى المتجانسين:(قد تَّبيَّن ، أَثْقَلت دَّعَوَا ، هَمَّت طَّائفةٌ ، إذ ظَّلَمْتُم ، يَلْهَث ذَّلِكَ ، اركب مَّعنا) ، ففى هذه الأمثلة نجد أن الحرف الأول قد قلب ألى مثل الثانى ليتم الإدغام ، والتأثر فى الإدغام الصغير تأثر رجعى لتأثر الأول بالثانى [2] .

---

[1] " كان أبو عمرو بن العلاء إذا التقى الحرفان وهما من كلمتين على مثال واحد متحركين أسكن الأول وأدغمه فى الثانى، ولا يبالى أكان ما قبل الأول ساكناً أو متحركاً بعد ألا يكون من المضاعف مثل (أُحِلَّ لَكُم) ، و (مسَّ سقر) فإذا سكن الأول منهما وهما على مثال واحد لم يكن فى قوله وقول غيره إلا الإدغام ، إلا إن كان الأول منوناً لم يدغم لأن التنوين فاصل " : العبارة لابن مجاهد فى كتاب السبعة ١١٦ ، وينظر : التيسير ٢٠ ، وكان أبو عمرو يدغم القاف فى الكاف من (خَلَقَكُم ، ورَزَقَكُم) وشبهه . ينظر التيسير ٢٢ ، والسبعة ١١٨

[2] النشر : ١ / ٢٧٤ ــ ٣٠٤ ، الإتقان : ١ / ٢٦٣ ــ ٢٧٠ ، الإتحاف : ٢٠ ــ ٢٦ ، نهاية القول المفيد : ١٠٣ ــ ١١٦ .

phonetics-acoustics.blogspot.com

خاتمة البحث

من خلال ما عرضناه فى هذا البحث يتبين لنا مايأتى : —

١ — أن العربية قد حرصت على خفة أبنيتها ، وحسن مبانى كلماتها ، فلم تعرف العربية سبيلًا للتخفيف إلاسلكته ، سواء أكان هذا السبيل إبدالًا ، أم مخالفة ، أم مضارعة بمختلف مستوياتها ، ووجه الخفة فى تلك الظواهر هو ما عبر عنه سيبويه بقوله : " ليستعملوا ألسنتهم فى ضرب واحد من الحروف ، وليكون عملهم من وجه واحد " . الكتاب : ٤ / ٤٦٧ .

٢— ولم تقتصر مظاهر التخفيف فى العربية على الحروف ، بل كان التخفيف أيضًا فى الحركات ، ومن أمثلته : الإتباع فى الحركات ، ومعناه تحريك الحرف بمثل حركة حرف آخر تبعًا له ، والخفة فى الإتباع تتمثل فى استمرار مواضع أداء الحركة فى الفم على هيئة واحدة فى الحرفين ، وتجنب الانتقال من هيئة إلى أخرى .

٣ — أن ظواهر التماثل والتغاير والإدغام حقائق لغوية قررها اللغويون العرب وبينوا أسبابها والداعى إليها بأمثلة مروية عن العرب القدماء ، ثم جاء المحدثون من اللغويين فتناولوا هذه الظواهر بالدراسة والتحليل بعد جمعها وتنظيمها ، ومن هذه الدراسة: هذا البحث الذى أسميته : " تجاور الأصوات وأثره فى اللغة " .

٤ — نبه الأئمة القدماء على ما يحدث لبعض الأصوات من تبدل وتغير يخرجها عن النطق الفصيح ، والأداء الصحيح ، نتيجة مخالطة العرب بغيرهم واكتسابهم عادات نطقية من العجم ، ليعرف ما هو من قبيل اللغة وما هو من قبيل اللحن ، وفى هذا تأكيد على أن الدراسات اللغوية عند العرب نشأت فى رحاب القرآن الكريم ، خوفًا عليه من اللحن ، وفهم نصوصه لاستنباط أحكام الشريعة .

٥ — ويطيب لى فى ختام هذا البحث أن أشكر أستاذى فضيلة الأستاذ الدكتور/ عبد الله ربيع محمود ، والأستاذ الدكتور/ إبراهيم أبو سكين على ما بذلاه معى

phonetics-acoustics.blogspot.com

من جهد ، فلم يبخلا على بتوجيه سديد ، أو نصح رشيد ، فجزاهما الله عنـــى وعـــن طلاب العربية خير الجزاء .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

الباحث

الدكتور/ سعيد محمد محمود الفواخرى

مدرس أصول اللغة

فى كلية اللغة العربية بالزقازيق

phonetics-acoustics.blogspot.com

فهرس المصادر والمراجع

١ ــ الإبدال لأبى يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت ، تحقيق/ حسين محمد شرف راجعه أ . على النجدى ، ط/ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨ م .

٢ ــ إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر لأحمد بن محمد بن محمد الدمياطى ، الشهير بالبناء ، رواه وصححه وعلق عليه أ . محمد الضباع ، ط/ مطبعة عبد الحميد أحمد حنفى بمصر ١٣٥٩هـ .

٣ ــ الإتقان فى علوم القرآن لجلال الدين السيوطى ، تحقيق أ . محمد أبو الفضل إبراهيم ، نشر مكتبة دار التراث القاهرة .

٤ ــ أصوات اللغة العربية ، د . عبد الغفار حامد هلال ، مطبعة الحبلاوى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

٥ ــ الأصوات اللغوية ، د . إبراهيم أنيس ، طبع ونشر مكتبة الأنجلوالمصرية ، الطبعة السادسة ١٩٨١م .

٦ــ إعراب القرآن لأبى جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس ، تحقيق د/ زهير غازى زاهد ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م

٧ ــ الأمالى لأبى على إسماعيل بن القاسم القالى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م .

٨ ــ البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسى الغرناطى ــ دار الفكر . بيروت ط/ الثانية ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .

٩ ــ تاج العروس . للزبيدى . ط/ الأولى المطبعة الخيرية بمصر .

١٠ ــ تهذيب اللغة للأزهرى ، تحقيق أ . عبد السلام هارون ، أ . محمد على النجار ، وآخرين ، الدار المصرية للتأليف والترجمة .

١١ ــ حاشية الصبان على شرح الأشمونى (بهامش شرح الأشمونى) طبع ونشر دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى وشركاه . د . ت .

phonetics-acoustics.blogspot.com

١٢ ــ خصائص اللغة العربية ، د/ محمد حسن حسن جبل ، ط/ دار الفكر العربي ، ١٩٨٧م .

١٣ ــ الخصائص لأبى الفتح عثمان بن جنى ، تحقيق أ . محمد على النجار ، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

١٤ ــ الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون ، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبى ، ط/ دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى .

١٥ ــ دراسة الصوت اللغوى ، د . أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

١٦ ــ دراسات فى علم الأصوات اللغوية ، د/ صلاح الدين قناوى ، د/ أحمد سلطان الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م

١٧ ــ سر صناعة الإعراب (الجزء الأول) لأبى الفتح عثمان بن جنى ، تحقيق أ . مصطفى السقا ، محمد الزفزاف ، إبراهيم مصطفى ، عبد الله أمين ، ط/ الحلبى بمصر ١٩٥٤م .

١٨ ــ سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى بشرح عبد المتعال الصعيدى ، مطبعة صبيح ١٩٦٩م .

١٩ ــ شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ، لنور الدين أبى الحسن على بن محمد الأشمونى ، دار إحياء الكتب العربية (عيسى الحلبى) د . ت .

٢٠ ــ شرح شافية ابن الحاجب ، لرضى الدين بن الحسن الاستراباذى ، تحقيق : محمد نور الحسن ، محمد الزفزاف ، محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .

٢١ ــ شرح المفصل لابن يعيش ، عالم الكتب ــ بيروت .

٢٢ ــ القاموس المحيط ، الفيروز آبادى ، ط/ مصطفى الحلبى بمصر ، الطبعة الثانية ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م .

٢٣ ــ القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب ، أ . عبد الفتاح القاضى ، ط/ عيسى البابى الحلبى بمصر .

٢٤ ــ القراءات وأثرها فى العلوم العربية ، د/ محمد سالم محيسن .

phonetics-acoustics.blogspot.com

٢٥ ــ الكتاب للإمام سيبويه ، تحقيق أ . عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ١٩٧٧م .

٢٦ ــ لحن العامة ، د . عبد العزيز مطر ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

٢٧ ــ لسان العرب . ابن منظور . دار المعارف بمصر .

٢٨ ــ اللهجات العربية فى القراءات القرآنية د/ عبده الراجحى .

٢٩ ــ اللهجات العربية ، د/ إبراهيم أبو سكين ، ط/الفاروق ، الحديثة للطباعة والنشر القاهرة ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

٣٠ ــ المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها . ابن جنى . تحقيق على النجدى ناصف وآخرين ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .

٣١ ــ المختار من كتاب علم الصوتيات ، د/ عبدالله ربيع ١٤٠٦هـ .

٣٢ ــ المزهر فى علوم اللغة للسيوطى ، تحقيق : محمد أحمد جاد المولى وآخرين ، ط/عيسى الحلبى .

٣٣ ــ المصباح المنير للفيومى ، تحقيق الدكتور عبد العظيم الشناوى ، ط/ دار المعارف بمصر ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

٣٤ ــ المقتبس من اللهجات العربية ، د. محمد سالم محيسن .

٣٥ ــ النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ، تصحيح على محمد الضباع ، مطبعة مصطفى محمد عيد .

٣٦ ــ نهاية القول المفيد فى علم التجويد ، محمد مكى نصر ، تصحيح ومراجعة على محمد الضباع ــ مطبعة الحلبى ١٣٤٩هـ .

phonetics-acoustics.blogspot.com